

إشكالية وسائل الإعلام في تكريس الأساطير والخرافات -موضوع السحر والرقية نموذجاً-

أ. عائشة قرة

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

ملخص:

تروم الدراسة الحالية إلى تسليط الضوء على الإعلام الجزائري الذي صار ذو طابع دعائي استهلاكي، وغرضه تجاري يقوم بالتضليل والتسطيح الفكري بهدف الاستخفاف بعقول الناس، كما تهدف إلى البحث في الهدف من طرح مواضيع السحر والرقية والأساطير التي أصبحت من أبرز المواضيع التي تؤرق فكر وعقل الجماهير .

الكلمات المفتاحية: وسائل الإعلام، السحر، الرقية، الأساطير والخرافات.

Abstract

The present study aims to examine the Algerian media, which has become consumerist propaganda, and its purpose is to mislead and intellectualize peoples in order to underestimate the minds of them.

The study also aims to research the purpose of presenting the subjects of magic, theology and myths that have become the most important subjects that disturb the minds of the masses.

Keywords: Media, magic, gossip, legends and myths.

مقدمة:

نجد الصناعة الإعلامية اليوم ونظرا لمعايير التسويق والتجارة والبيع والربح أنها تستغل الإثارة والغربة وأخبار الجنس والانحراف والعنف، لزيادة مبيعاتها وللاستجابة لمتطلبات السوق والمجتمع بغض النظر عن التأثيرات السلبية والضرر التي تلحقه بالناشئة وبالجمهور، وقد أكد النقاد أن العديد من وسائل الإعلام الجزائرية تميل لصنع الإثارة والمبالغة والمعالجة الجزئية والسطحية للقضايا والأحداث، وطرح المواضيع دون تحليل علمي للمعلومات أو استقصاءها من مصادر موثقة.

ومما اتفق عليه العديد من الباحثين والنقاد أن الإعلام الجزائري يغلب على الطابع الدعائي الاستهلاكي في صنع البرامج، التي نجد أنها ذات غرض تجاري تقوم بالتضليل والتسطيح الفكري، تفتقد الخبرة والنظرة العلمية، كما تعمل على الاستخفاف بعقول الناس، والأمر الذي زاد من تأثيرها هو غياب المتلقي الإيجابي الذي يختار المضامين عن وعي وتحليل عقلي.

من جهة أخرى، طالت التجارة جميع مجالات الحياة، وصار الدين يعد رأسمال وسلعة يتنافس عليه المستثمرون، وتعتبر عاطفة المجتمع سوقا مدرة للتجارة هي حيث يوجد نوعان¹ من الأسواق الدينية هما سوق السلع المؤدجة، وسوق الخدمات الدينية، حيث يقوم سوق السلع الدينية على الاستثمار في علامات تجارية لكل أنواع الزيوت وتصميم ديكورات للمحل ذات دلالة رمزية تجذب التعاطف نحوها مثل محلات الأناشيد الدينية، وجميع النشاطات التجارية التي تحمل معها دلالات دينية، أما سوق الخدمات فيتم برقية المرضى أو بيع زيوت لرقية وفك السحر، وتفسير الأحلام، واستخراج الجن، والفتوى ونحوها. وهو سوق غير مرخص به

¹ عبد الرحمن الشقير: رأس المال الديني، ص3، متوفر على الرابط :

<http://hekmah.org/رأس-المال-الديني-د-عبد-الرحمن-الشقير/>

رسمياً، ولكن له فاعلية عالية في التأثير على الأفراد وتحقيق الربح، لهذا يعد سوق الخدمات الأخطر لأنه يقوم على السيطرة على أفكار وعواطف الشعوب من خلال توجيههم والتحكم فيهم بنصوص مقدسة، وسوقهم الفرعي هو القنوات الفضائية التي يتم عرض الخدمات من خلالها.

وعليه، ومما تم إثباته في علوم الانثروبولوجيا والاجتماع أن مفهوم المرض وأسلوب مواجهته، وتفسيره يتباين داخل الثقافة الواحدة من جماعة ريفية إلى حضرية وبين الرجال وبين النساء، ومفاهيم الصحة والمرض تتحدد في ضوء عدة اعتبارات منها المعتقدات الدينية والشعبية لكل منطقة، والمخلوقات غير البشرية المختلفة وعلاقتها بالكون وبني البشر، وتأثير الموجودات الطبيعية وغير الطبيعية عليه كالجن والعين والسحر، وبالتالي يختلف أبناء الثقافة الواحدة في تفسير أسباب المرض، وكيفية إلتماس الشفاء ووصف أعراضه، وتصنيفه من حيث الخطورة أو عدمها.

كما تتميز الأوساط الاجتماعية الممارسة للسحر والرقية أنها أوساط مغلقة تعيش في إطار التفكير الشعبي الخرافي، وتتميز بالأمية والفقر، العنوسة إضافة إلى أن عدد أفراد الأسرة كبير وتنتمي لأحياء هامشية أين تكثر الأضرحة والأولياء، كما يعد الجهل بالدين الاسلامي من أهم العوامل المساعدة على انتشار السحر والرقية وهذا ناتج عن الفهم الخاطئ للدين والقراءان كقصة سليمان عليه السلام وروي بعض الأحاديث الضعيفة كقصة سحر الرسول عليه الصلاة والسلام .

بناءً على مما سبق يفرض السؤال التالي نفسه: هل طرح مواضيع السحر والرقية وانزعجيات في وسائل الإعلام بغاية الحد منها وزيادة وعي أفراد المجتمع لتجنبها؟ أم الهدف هو تحقيق الإثارة والغربة من أجل استقطاب أكبر عدد من الجمهور لزيادة الأرباح وتغيب الوعي عنهم؟

وللتعمق أكثر احتوت الدراسة على 5 عناوين عاجلت الموضوع وهي:

1. النظريات المفسرة لتأثير وسائل الإعلام.

2. النظريات المفسرة لظاهرة السحر.

3. موقف الدين الإسلامي من ممارسة السحر والرقية.

4. مامدى صحة ظاهرة السحر في الواقع؟

5. الدور السلبي للمنظومة الإعلامية في تكريس مظاهر السحر والرقية.

أ. أهداف الدراسة: كما هو متعارف لا تخلو دراسة من أهداف ترمي للوصول إليها

في آخر المطاف، وتكمن أهداف دراستنا في:

- إبراز الدور السلبي لوسائل الإعلام ومساهمتها في تفشي الخرافات
والخرزعبلات وسط ما يعرف بالغوغاء .

- التعرف على حكم السحر والرقية من وجهة النظر العلمية والدينية.

- الكشف عن خطورة وأكذوبة السحر والخرزعبلات المتفشية في المجتمع .

- تمكين القارئ من معرفة ماهية السحر والرقية ومدى صحة الظاهرة.

- الرغبة في التوصل إلى نتائج وتوصيات تسهم في ترشيد وسائل الاعلام

للاارتقاء بمستوى المجتمع.

ب. أهمية الدراسة: تنبع أهمية الدراسة من أهمية الموضوع الذي نحن بصدد طرحه ،

حيث أصبح موضوع السحر والرقية من أكثر المواضيع تداولاً وانتشاراً في

أوساط أفراد المجتمع، وصارت تتداول هذه القصص من خلال وسائل كثيرة

أهمها وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، من خلال عرض مختلف

الصور والطلاسم أهمها صور بقايا السحر في المقابر، مما أدى إلى انتشار الوهم والخرافة وغياب العقل والتحليل العلمي لدى أفراد المجتمع. إضافة إلى شيوع الممارسات السحرية داخل المجتمعات وعدم اقتصار الإيمان بها على الأميين بل طالت حتى المتعلمين والمتدينين.

ج. مصطلحات الدراسة:

• الإعلام:

-لغة: من الفعل أعلم وعلم بالشيء أي شعر به ، ويقال أستعلم لي خبر فلان وأعلمنيه وعلم الأمر وتعلمه أي أتقنه ويقال علمت الشيء بمعنى عرفتة وخبرته¹.
-اصطلاحاً: يعرف الإعلام من الناحية الاصطلاحية على أنه نشر الحقائق والأخبار والأفكار والآراء بين الجماهير بوسائل الإعلام المختلفة، كالصحافة والإذاعة والسينما والمحاضرات والندوات والمؤتمرات والمعارض وغيرها بغية التوعية والإقناع وكسب التأيد².

• الرقية:

-لغة: الرقية هي العوذة، والجمع رُقَى، واسترقاه فرقاه فهو راق، يُقَالُ: رَقَى الرَّاقِي رُقِيَةً وَرُقِيًّا إِذَا عَوَّذَ وَنَفَثَ فِي عُوذَتِهِ، وَالْمَرْقِيُّ يَسْتَرْقِي، وَهُمْ الرَّاقُونَ.
-اصطلاحاً: الرقى عبارات وألفاظ خاصة من أدعية وآيات من كتاب الله، يحصل بها الشفاء من الأسقام والأسباب المهلكة بإذن الله، وتختلف الرقية باختلاف

¹ ابن منظور: لسان العرب ، ط 4 ، المجلد الأول ، دار طادر ، 2005 ، بيروت - لبنان ، ص 264 .

² أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات الإعلام، ط 2 ، دار الكتاب اللبناني، 1994 ، بيروت - لبنان، ص 84 .

أسبابها وطرقها، فمنها ما هو مشروع كقراءة الفاتحة والمعوذتين على المريض، ومنها ما هو غير مشروع كرقى الجاهلية¹.

• السحر:

يعرف من الناحية السوسيولوجية أنه يقوم على تعاليم وطقوس معينة شأنه شأن الدين، وهي طقوس تنسم بطابعها الإيماني أو الاعتقادي أو كما يقول عنها دوركايم "ما يميّز هذه الظواهر الدينية طابعها الإلزامي، فالمعتقدات والممارسات تفرض نفسها على المؤمنين بها"².

-لغة: هو صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، يقال سحر الشيء عن وجهه أي صرفه، والسحر في عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التتويه والخداع.

-اصطلاحاً: عرف العلماء السحر بأنه عمل يهدف إلى التغلب على القوى التي تنصرف في مصير الإنسان، وأن السحر قدرة يمارسها بعض الأشخاص بأساليب يفترض أن تكون فوق ما يحدث بصورة طبيعية، وذلك لغرض التأثير على السذج والبسطاء عن طريق القيام بأفعال تبرهم وتوجب اندهاشهم³.

¹ حمود بن إبراهيم بن سلامه: رقية النصارى للمسلمين ماهيتها، وحكم الإسلام فيها-دراسة تحليلية نقدية ديسمبر 2016 م مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية المجلد 13، العدد 2، ص 125.

² سعيد الحسين عبدولي: ميكروسوسيولوجيا الجريمة من خلال الممارسات السحرية والشعوذة، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية-جامعة الوادي العدد الخامس - فيفري 2014، ص 17.

³ عبد الرزاق صالح محمود: الخصائص الاجتماعية للمعتقدين بالسحر كعلاج دراسة سوسيولوجية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 8، العدد 2، ص 49.

د. النظريات المفسرة لتأثير وسائل الإعلام:

يزخر ميدان علوم الإعلام والاتصال بالعديد من النظريات المفسرة للعلاقة بين الجمهور وبينه وسائل الإعلام، وفي موضوعنا المتعلق في دور الاعلام في تكريس الخرافات والأساطير، نذكر أهم النظريات المعبرة عن تأثير وسائل الإعلام:

(1) **نظرية التطعيم:** تعمل على التأثير على المدى الطويل من خلال التعرض المستمر للأفراد لوسائل الإعلام، الذي يولد نوعاً من التبدل وعدم الإحساس، فهي تشبه الجرعات المستمرة من تلقي المواضيع والقيم من خلالها الأمصال التي يتم الحقن بها، حيث أن الاستمرار في المشاهدة والتعرض لنفس الموضوع يخلق لدى المشاهد حالة لامبالاة واستمرارية في التعرض وتصديق ما تلقاه، وبهذا تتحقق المقولة القائلة: "يصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً"¹.

ومنه فموضوع الرقية والسحر وما اتصل بهما، والتي تعمل وسائل الإعلام على نشر الأخبار والمواضيع المتعلقة بها بقوالب صحفية عديدة ومتنوعة وبطريقة مستمرة ودائمة، وحتى نجد أنه فتحت قنوات خاصة للرقية من مختلف الأسقام، وبيع الزيوت والأعشاب الخاصة بالرقية ومعالجة السحر، وكما هو معروف المشاهد كائن سلبي يمتص كالاسفنج ما يتعرض له، وعليه فنشر مثل هذه المواضيع تعمل على اقناع المشاهد بصدقها وتجعله بطريقة آلية يلجأ إليها من دون تفكير أو تحليل عقلي.

(2) **نظرية الأجندة:** والتي تقوم على فكرة تحديد جدول الأعمال للأخبار والمواضيع بناءً على أهميتها وترتيبها من الأكثر أهمية إلى أقل أهمية، فحين تنشر رسائل معينة فإنها توحى للجمهور بطريقة ضمنية أنه يستحق الاهتمام أكثر من المواضيع الأخرى، والتركيز عليها يزيد في تضخيم الموضوع وإعطاءه أهمية كبرى، وعليه فإنها تعمل على

¹ محمد بن عبد الرحمن الحضيف: كيف تؤثر وسائل الإعلام؟، ط2، مكتبة العبيكان، السعودية، 1998، ص 21.

غرس ما تريده الوسيلة الاعلامية في أذهان الجماهير واستمالتهم لها، من خلال استخدام الاستثارة العاطفية في التأثير مستخدمة شتى الأساليب للتضليل وتزييف الحقائق.

ومما سبق نجد أن مواضيع السحر والرقية أعطيت لهما أولوية واضحة لدى وسائل الإعلام وخاصة قناتي "الشروق والنهار" اللتين عمدتا إلى استخدام مختلف القوالب الصحفية من أخبار وحصص وبرامج لتكريس الظاهرتين بالعرض المتكرر لمختلف الحالات التي تعاني منها خاصة الفئات الهشة الفقيرة ذات المستوى التعليمي المتدني، والاستعانة بالأئمة والشيخ والرقاة للتأثير وإقناع المتلقي بصدق الظاهرة والإيمان بها.

(3) **نظرية تكريس الأمر الواقع:** في الواقع ما تقوم به وسائل الإعلام يعد منافيا لدورها الحقيقي المتمثل في تثقيف وتوعية الجمهور، فما تمارسه وسائل الاعلام اليوم هو تكريس الواقع من خلال تركية مختلف المظاهر التي يعاني منها المجتمع خاصة الطبقات الهشة ذات المستوى المعيشي المتدني، ما يبرر هذه السياسة هو استخدام وسائل الاعلام واحتكارها من طرف النخبة المسيطرة وكما يقال "من يدفع للزمار يختار اللحن"، وكما هو متفق عليه تعد وسائل الاعلام وسيلة مؤثرة في تنويم الجماهير وتغيب الحقيقة عنهم.

وعليه فتكريس مواضيع السحر والرقية والخرافات الشعبية مقصودة لجعل الفرد يتأثر بها وتشغل له اهتمامه وتفكيره، بحيث تشتت انتباهه للمطالبة بحقوقه من السلطات لرفع الغبن والظلم عنه، ويبرر ما سبق مقولة رينولد نايهور: "المنطق مهارة ضيقة النطاق يتمتع به قليل من الناس ذلك أن غالبيتهم منساقون رواء عواطفهم، لهذا لا بد لمن يملكون النطق لا بد أن يصنعوا أوهاما ضرورية وتبسيطات عاطفية لإبقاء

الأغبياء السذج على ما هم فيه، فالقطيع الضال يعد مشكلة وجب منعه من الزئير ووقع الأقدام لذا عليهم أن يندخلوا بمشاهدة أعمال العنف أو الجنس، المسلسلات ، الرياضة..."¹ .

هـ. النظريات المفسرة لظاهرة السحر:

1. نظرية فرويد في تفسير السحر²:

هذه النظرية تقوم على أساس أن السحر هو عبارة عن مفهوم يتكون من سبعة محاور السحر عند فرويد سماها فرويد بالتالي:

- السحر الأسود وهو ما كان يعتقد في القرن السابع عشر بأنه نوع من استحواذ الشياطين وسماه فرويد (Delusions) بسبب العلاقة غير السليمة بين الأب والطفل أو من يقوم مقام الأب وذلك بسبب ثنائية المشاعر، وهي حالة من تناوب مشاعر الكراهية والحب نحو الأب أو الأم، إذا كانت الحالة تتعلق بالإنسان ويرجع فرويد هذه الحالة من التذبذب العاطفي إلى الأساس الجنسي كما هو معروف في نظريته خاصة في بداية تفسيره هذه الظاهرة.

- السحر الديني (magic religious) وهو في نظر فرويد تصرفات استحواذية وممارسات دينية تستحوذ على الفرد وتصبح بالنسبة له بمثابة عصاب استحواذي، ومن المعروف أنه في هذه الحالة يتكلم عما كان سائدا في المجتمعات الأوروبية في ذلك الوقت.

- سحر العلوم الوهمية أو العلوم الغامضة (science occult) ومنها التنجيم وما في حكمه من بعض أنواع المعارف التي تتعلق بمحاولة معرفة المستقبل.

¹ ناعوم تشومسكي: السيطرة على الإعلام- الانجازات الهائلة للبروباغندا-، ترجمة أميمة عبد اللطيف، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2003، ص16.

² سعد بن سعيد الزهران، علي بن صديق الحكيم: ظاهرة السحر والشعوذة دراسة ميدانية على المجتمع السعودي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، السعودية، ص 101.

- النوع الرابع ما سماه بالسحر الاحتفالي (magic ceremonial)
- سحر الفرق أو الطوائف الجديدة (sects new of magic) ويقصد بذلك
الانهار الذي يحصل للأفراد في بعض الجماعات خاصة عندما يتوحدون مع القائد
ويصبح تأثيره عليهم ككثير السحر على الآخرين.

- سحر الظواهر غير الطبيعية (magic paranormal) وهذا يتحدث فيه عن
الظواهر التي تبدو غير طبيعية مثل ما نسميه الآن التخاطر وتفسير الأحلام وغيرها
وقال: إنها تلعب أحيانا دورا مؤثرا ككثير السحر على الفرد فيعتقد بأنها صحيحة وهو
ينظر إلى أن هذه مجرد أمنيات يتمناها الفرد تحدث له في أحلامه أو فيما يطلق عليه
أحيانا التخاطر.

- السحر الطبي (magic medical) وهذا يتمثل في التحليل النفسي الذي أخذ
فرويد به وجعله طريقة للعلاج فهو يرى أن هذه الطريقة في علاج الأمراض
النفسية والعقلية في هذا السياق يمكن أن نطلق عليها تجاوزا "طريقة السحر الطبي"
أي أنه أصبح العلاج الشافي الذي يزاوول ويحدث أثرا إيجابيا على الأفراد حينما
يمارس بطريقة جيدة، لأنه يتعامل مع الرغبات المكبوتة وما يخفيه الإنسان في عقله
الباطن من أفكار ورغبات وخبرات أثرت على سلوكه، فإطلاق السحر هنا على هذه
الطريقة الطبية من وجهة نظر فرويد إنما هو نوع من الإيحاء الإيجابي لمفهوم
التحليل النفسي كطريقة سحرية من حيث أثرها وليس من حيث ممارستها.

2. نظرية الضغوط الاجتماعية في تفسير السحر¹:

قدم أوكيف okeefe تصورا نظريا ربط فيه بين السحر والضغوط الاجتماعية،
حيث اعتبر أن السحر الأسود ما هو إلا مؤشر على وجود الضغوط الاجتماعية
الشديدة، سواء على مستوى الفرد الواحد أو الجماعة في بيئة ما. وهو يرى أن ما

¹ المرجع نفسه، ص 102.

يحاط بالسحرة عادة ما هو إلا جرائم متخيلة يتخيلها البعض، وحسب رأي أوكيف فإن الضغوط الاجتماعية التي تجعل الفرد يلجأ إلى السحر كمنخرج تتمثل في:

- الصراع الاقتصادي الذي يحدث عادة بين الأفراد.
- الصراع على السلطة أو الاستحواذ على أي نوع من أنواع الجاه.
- الصراع المعرفي أو الذهني الذي ينتج عن وجود تضارب أو تضاد أو تعارض بين فكرتين أو أكثر في ذهن الشخص تجعله يحاول التخلص من هذا الصراع الشديد باللجوء إلى الأفكار الخرافية والسحرية.
- الصراع ضمن العلاقات الاجتماعية أو علاقات القرابة (structure kin in conflict) وهذا كثيرا ما يحدث حين تضطرب علاقات الفرد بمن حوله من أفراد أسرته ومعارفه اضطرابا شديدا يجعله يعيش في صراع داخلي شديد، وحينما لا يصبح الفرد قادرا على التخلص من هذا الصراع، فإنه تظهر عليه علامات المسحور.

3. نظرية صمام الأمان النفسي¹:

من النظريات التي قدمت تفسيراً لفهم ظاهرة السحر النظرية الوظيفية أو نظرية "صمام الأمان النفسي" لكلايد كلوكهون، حيث قام بدراسة على ظاهرة السحر في جماعات النفاجو (Navajo) قبيلة من قبائل الهنود الحمر تعيش في الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد وجد أن السحر لدى أفراد هذه القبيلة له عدة وظائف من أهمها تحقيق المسيرة والانصياع لأعراف القبيلة، والتنفيس عن الضغوط الاجتماعية، وتقديم تفسير لكثير من الأحداث التي تقع في محيط الفرد، وجلب التسلية لأفراد الجماعة أحيانا، وتفسير أسباب التصرفات الشريرة التي تصدر عن البعض، والتعامل مع

¹ المرجع نفسه، ص 103.

حالات العدوان والإحباط التي تصيب البعض. وهذه الوظائف في مجملها تحقق للفرد والجماعة الشعور بالأمن النفسي، وتخفف من آثار العلاقات المتوترة التي قد تنشأ بين أفراد هذه الجماعات التي تعيش غالباً في مجموعات صغيرة وكل مجموعة تحاول أن تتعاون مع الأخرى من أجل التغلب على مصاعب الحياة اليومية.

1/ موقف الدين الإسلامي من ممارسة السحر والرقية:

حارب الدين الإسلامي السحر والشعوذة والكهانة والخرافة التي تعرقل التفكير السوي للإنسان المسلم، وتجعله أسيراً للوهم وللسحرة من خلال ثغرة جهله بالعلم والشرع وبعده عن الكتاب والسنة، حيث عد الإسلام استخدام السحر والاستعانة به لقضاء الحوائج وتصديق العراف والمنجم شرك وكفر بالله سبحانه، ومناف لكمال التوحيد.

ولقد توصل علماء الكلام في الدين الإسلامي إلى الخروج برأين في هذا الشأن، أولهما رأي جمهور أهل السنة الذي يرد فيه أن للسحر حقيقة ثابتة بنص القرآن الكريم والسنة النبوية وله تأثير في إيلاام الأجسام وإتلافها نتيجة محاولة النفوس الخبيثة لأقوال وأفعال ينشأ عنها أمور خارقة للعادة. وأما الآخر رأي عامة المعتزلة والقدرية وأبي اسحق الاسترابادي من علماء الشافعية وأبي بكر الرازي من الحنفية، حيث يرى أصحاب هذا الرأي أن السحر مجرد تخيل وتمويه، وأن ما يقع منه محض خيالات باطلة وتضليل وأنه من أبواب الشعوذة فلا تأثير له البتة لا في مرض ولا قتل ولا حل ولا عقد، وإنما هو تخيل لأعين الناظرين ولا حقيقة له سوى ذلك، ويتفق معهم في هذا الرأي من العلماء المحدثين كالإمام محمد عبده وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا وغيرهما. وعلماء الزيدية وأبو بكر الرازي من الحنفية يرون: أنه لا تأثير للساحر إطلاقاً وليس له دخل¹.

¹ <http://www.alnoor.se/article.asp?id=132204>

أما العلاج بالنص القرآني أو الرقية الشرعية فهي من أكثر الظواهر انتشارا حاليا، تعمل ظاهريا على القضاء على السحر أو أذى الجان، من خلال الاستعانة بالقرآن، في هذا الصدد يعرفها "عزمي بشارة" أنها استخدام سحري للدين وكتابة آيات القرآن للحرز كآية الكرسي والمعوذتين .

من المتعارف عليه أن العقل العربي يخضع للخرافة ويؤمن بكل ماهو غيبي الأمر الذي جعل الميكانيكية العقلانية العلمية عنده معطلة، لا يملك عقلا محلا، لذا نجد مظاهر الرقى والاستعانة برجال الدين منتشرة أكثر لدى الطبقات الدنيا في أسفل السلم الاجتماعي، كونها أكثر معاناة على مختلف المستويات خاصة الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية، كما تعاني من الجهل وقلة الوعي الديني، وقد أقر العديد من الباحثين في الأنثولوجيا أن من أهم أسباب انتشار مثل هذه الظواهر في البلدان العربية تعود للفراغ الذي خلفه الاستعمار وتغييبه للوعي الديني من خلال انتشار الجهل والأمية¹.

في الحقيقة أصبحت التجارة بالدين مدرة ومربحة، حيث انتشر رجال الدين والرقاة بصفة كبيرة في أوساط المجتمع، وأصبح هناك ما يعرف بالرقية الجماعية التي يجمع فيها الإمام المرضى ويقوم بقراءة بعض آيات القرآن والقيام ببعض الطقوس التي تعمل على شفاءهم، مقابل أموال تدفع جراء التعرض للرقية أو اقتناء الأعشاب والخلطات، تعتبر من الممارسات الشعبية المنتشرة منذ القدم، ولعل من أهم أسباب انتشارها ما أكد عليه عدد من العلماء والباحثين على أنها تعد من أهم الأنساق الثقافية وذات ارتباط بالمعتقدات الدينية.

¹ بذاك شبعة: الوظيفة السوسولوجية للسحر عبر الاسطورة المغربية -دراسة نفسية سوسيو انثروبولوجية-، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ص 69.

2/ مامدى صحة ظاهرة السحر في الواقع ؟

تعد ظاهرة السحر والشعوذة امتدادا لثقافة وبنية اجتماعية، حيث تعتبر ممارستها تطبيقا لطبيعة التفكير الشعبي البسيط المحدود الذي يؤمن بالخرافات والخرعبلات، كما تساهم الظروف الاجتماعية المزرية للأسر الهشة من اللجوء للسحر بهدف تحسين أوضاعهم الاجتماعية أو البحث عن حلول لمشاكلهم¹، ويرى تايلور أن الطلاسـم والسحر والجن والقرايين والذباحـ مجرد حقيقة ذهنية وليست واقعية حيث يرى أنها مغالطة بين الارتباط الذهني والارتباط الواقعي، وهي من إحدى أهم الخزعبلات التي تأسر فكر الإنسان أي أنه يقوم بالاعتقاد بشيء غير مادي أنه ينفع أو ضرر، ويبقى أسير هذا التفكير.

ومن المؤكد أن هناك العديد من الجهات المستفيدة من انتشار هذه الظاهرة، حيث نجد على المستوى السياسي توظيفها الأنظمة الحاكمة في استدامة أوضاع الطبقات الهشة والفقيرة في المجتمع في ضلال وجهل حتى لا تزج السلطات أو تطالب بحقوقها، وجعل العامة تعيش في وهم ودوامة، من خلال استخدام وسائل الإعلام المختلفة خاصة التلفزيون للتأثير عليهم، ويساهم في الحد من الحركة الاجتماعية، ويمنع تطور التفكير حتى لا يصبح الفكر الشعبي فكرا نقديا وعلميا بل تعمل على بقاء السذاجة في تفكير الشعب .

أما على المستوى الاقتصادي، فقد أصبحت تمثل تجارة مربحة للسحرة والرقاة الذين يبيعون البخور، الأعشاب وأدوات ووسائل لطرد الجن أو فك السحر، حيث يشتغل السحرة والرقاة من منظور اقتصادي بحت لربح المال، وصار هاجسهم الركض وراء الشهرة لبيع منتجاتهم مثل منتج "الزيوت السبعة"، ويعتمدون على

¹ بن عاشور الزهرة: ممارسة السحر والشعوذة في المجتمع الجزائري، مجلة آفاق لعلم الاجتماع، العدد4، ص 49.

الإشهار والدعاة والتسويق من خلال وسائل الإعلام المختلفة كالقنوات الفضائية والمواقع الالكترونية للوصول إلى أكبر عدد ممكن من الزبناء.

3/ الدور السلبي للمنظومة الإعلامية :

مؤخرا أخذت استراتيجية وسائل الاعلام تأخذ المسار غير الصحيح لها والمتمثل في الارتقاء بالمجتمع وتطويره فكريا وتنويره، بل صار هدفها الربح والمنافسة مع الوسائل المشابهة لها، لذا عمدت على زيادة المساحة المخصصة الأخبار المثيرة، كي تزيد عدد المشاهدين وترفع نسبة ميزانية البرامج، وتزيد في إيرادات الإعلانات الدعائية¹، ويبرر أحد كبار رجال صناعة التلفزيون في أمريكا بأن زيادة برامج الأخبار المثيرة أو التافهة التي تحاكي مواضيع البيئة الشعبية المتدنية هي من الضرورات الفنية التي تتطلبها طبيعة المنافسة المشروعة مع وسائل الإعلام الأخرى، كما تعد عملية لتسويق البضاعة التلفزيونية التي تحرص صناعة التلفزيون على شيوعها بين الملايين من المشاهدين، لدرجة أنها صنعت مدمنين من الناس يحبون متابعة المواضيع الشاذة ويستمتعون بمشاهدتها.

وعليه، فقد تم استغلال وسائل الاعلام من قبل قادة الرأي والحكام في ترسيخ السلبية عبرها في الإنتاج الثقافي، حيث عملت على استدراج الفرد لقضاء وقت طويل أمام وسائل الإعلام المختلفة لتقليص النشاط الفكري والواعي لديه بفعل البرامج المنومة التي تشجع على تبليد العقل وقتل التفكير والنقد لديه². هذا لأنها تعتبر من أكثر أدوات التغيير قوة لما لها من سلطة على أفراد المجتمع بشرائعهم

¹ سمير شعبان: الإعلام ودوره في نشر الجريمة والوقاية منها ، مجلة ورقلة ، العدد 2 ، 2009 .

² الشريف حبيلة: الخطاب الاعلامي وطرق توصيله للمتلقي وأثره في تغيير ملامح المجتمع ، بحث مقدم في مؤتمر الفضائيات العربية والهوية الثقافية، كلية الإعلام، جامعة الشارقة، ص11.

المختلفة، ولا سيما مع توجيه مشاعرهم وأحاسيسهم نحو قضايا نفسية واجتماعية متعددة¹.

ومما نلاحظه اليوم أنه لا تكاد تخلو معظم الصحف والمجلات أو البرامج التلفزيونية من أخبار ومواضيع السحر والسحرة والدجالين، والعلاج بالأعشاب والرقية الشرعية... إلخ، والتي يتم عرض فيها الراقي والمرضى وبعض طرق العلاج كممارسة الشعوذة وإدعاء الاستعانة بالجن والشياطين، كما يمارسون الضرب على المريض بدعوى اخراج الجن والأرواح الشريرة من جسد المريض، مثلما كانت "قناة الشروق" تقوم بعرض الراقي "بلحمر" في عيادته وهو يقوم برقية المرضى ويحدث الجان كما يدعي لإخراجه من جسد المريض.

هكذا أخبار تساعد على نشر الأفكار الهدامة، وتدفع الناس لتصديق أوهامهم بعيدا عن التحليل المنطقي واستخدام العقل، وتعد الصحف وبعض القنوات الفضائية من أكبر المساهمين في نشر هذه الخزعبلات والأكاذيب بين الناس، والفضيع من الأمر أن ممارسات السحر والشعوذة غالبا ما تخلف جرائم خطيرة مثل النصب والاحتيال القتل، التشويه والاغتصاب...

في هذا الصدد، يرى عالم الاجتماع البريطاني أنطوني غيدنز أن: "لوسائل الإعلام أهمية تعادل ما للمدارس والجامعات في إقامة مجتمع المعرفة، وكلما اتسع هامش الحريات التي تتمتع بها وزاد اهتمامها بالقضايا المهمة مثل الحكم الصالح والتمكين الاجتماعي، تعززت الحوافز لتأسيس مجتمع المعرفة، غير أن أوجه القصور في وسائل الإعلام العربية تقلل من فاعليتها في هذا المجال، كما أن السيطرة الحكومية وغياب الحريات الصحفية يحولان دون وصول عامة الناس إلى المعلومات، حيث

¹ محمد خليل الرفاعي: دور الإعلام في العصر الرقمي في تشكيل القيم الأسرة العربية -دراسة تحليلية-، مجلة جامعة دمشق-المجلد 27- العدد الأول+الثاني 2011، ص 719.

نجد أن أكثر من 70% من قنوات التلفزيون العربية هي تحت إشراف الدولة التي تملك بدورها وكالات الأنباء، والتي تعمل على نشر أخبار سلطوية الطابع هزيلة المضمون، تكاد تقتصر على الأخبار الرسمية، أو أنشطة كبار رجال السلطة، ونادرا ما تحمل المعلومات التي تهتم أغلبية الناس وتثري مخزون المعرفة الناقصة لديهم¹.

4/ خاتمة على سبيل ترشيد وسائل الاعلام للارتقاء بمستوى تفكير المجتمع:

من أهم ما يمكن التوصل إليه في موضوع التأثير السلبي لوسائل الاعلام وماتقدمه من برامج وحصص ذات مواضيع شعبية تحمل الخرافة والخزعبلات للجماهير، نجد أنها تهدف إلى العمل على تدهور مستوى الذوق الثقافي العام، والانحيار الاخلاقي للأفراد، وذلك بزيادة معدلات اللامبالاة والميل إلى تشجيع الجماهير على السطحية السياسية، وقمع القدرة على الابتكار والتجديد، للبقاء في حالة الجهل والضبابية في معرفة الأمور على حقيقتها.

ونذكر في هذا الشأن ما قامت به بعض الشركات الاعلامية، كما في فنلندا أنها قامت بمنع الأخبار التي تتناول حالات الانتحار أو الاعتداءات الجنسية، معتبرة أن ليس هناك أي فائدة من نشر ذلك، فمثل هذه المواضيع قد تستحق أن يتناولها الإعلام إذا ما تحولت إلى ظاهرة اجتماعية، وإذا كان هناك من فائدة للجمهور كتحذيره من خطر ما، كما أنه من اللازم معالجتها بطريقة علمية عميقة وإعطاء كافة التفسيرات والتحليلات للقضاء عليها والارتقاء بتفكير وعقل الجماهير.

وعليه، ومايتوجب اليوم على وسائل الإعلام أن تعمل على تقديم برامج هادفة في وسائل الإعلام حيث تكون المادة الإعلامية ومضمونها هادف، تساعد

¹ <https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2010/03/24/193121.html>

على تحقيق الإشباع السياسي والثقافي، الاجتماعي والتربوي، كما يستلزم تطوير الأداء والتخطيط العلمي ورسم سياسة هادفة تعمل على الارتقاء بالمستوى العام، من خلال إبراز القيم التنموية وتزويدهم بمعلومات وحقائق عن الواقع بعقلانية وموضوعية بعيدا عن الخزعبلات وتجديد الخرافة.

من جهة أخرى، من الأفضل أن يتم توظيف ذوو الكفاءة العلمية ونخبة المجتمع في إعداد البرامج التي تعمل على رفع مستوى تفكير الجماعير، وتوعيتهم ومساعدتهم من الخروج من أحوال الماضي ومن الخزعبلات التي بقيت راسخة في أذهانهم من آبائهم ومن سبقهم، أي التي توارثوها وتوارثو تخوفهم منها، وهناك ممن بقو حتى اليوم يمارسون هذه الطقوس كأخذهم البركة من الأضرحة أو من المشعوذين الذين أصبحت مهنتهم اللعب بعقول الأفراد.

لذلك من الضروري اليوم التوجه بوسائل الإعلام كونها سلاح قوي ومؤثر في "الغواء والذهماء" التي تعاني من كساد في التفكير وتغيب للعقل والتقد والتحليل، بإعداد برامج ذات مستوى ثقافي وعلمي راق لإخراج الجماهير من ظلمة الجهل إلى نور العلم والتفكير.

الهوامش والمراجع:

- عبدالرحمن الشقير: رأس المال الديني، ص3. متوفر على الرابط <http://hekmah.org/المال-الديني-د-عبدالرحمن-الشقير/>
- ابن منظور: لسان العرب ، ط4 ، المجلد الأول ، دار طادر ، 2005 ، بيروت - لبنان ، ص 264 .
- أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات الإعلام، ط2 ، دار الكتاب اللبناني، 1994، بيروت - لبنان، ص 84 .

- حمود بن إبراهيم بن سلامة: رقية النصارى للمسلمين ماهيتها، وحكم الإسلام فيها- دراسة تحليلية نقدية ديسمبر 2016 م مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية المجلد 13، العدد 2، ص 125.
- سعيد الحسين عبدولي: ميكروسوسيولوجيا الجريمة من خلال الممارسات السحرية والشعوذة، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية-جامعة الوادي العدد الخامس- فيفري 2014، ص 17.
- عبد الرزاق صالح محمود: الخصائص الاجتماعية للمعتقدين بالسحر كعلاج دراسة سوسيو أنثروبولوجية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 8، العدد 2، ص 49.
- محمد بن عبد الرحمان الحضيف: كيف تؤثر وسائل الإعلام؟، ط 2، مكتبة العبيكان، السعودية، 1998، ص 21.
- ناعوم تشوميسكي: السيطرة على الإعلام- الانجازات الهائلة للبروباغندا-، ترجمة أميمة عبد اللطيف، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2003، ص 16.
- سعد بن سعيد الزهران ،علي بن صديق الحكمي: ظاهرة السحر والشعوذة دراسة ميدانية على المجتمع السعودي، مركز البحوث والدراسات الاسلامية، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، السعودية، ص 101.
- بذاك شبحة: الوظيفة السوسيولوجية للسحر عبر الاسطورة المغربية -دراسة نفسية سوسيو انثروبولوجية-، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ص 69.

- بن عاشور الزهرة: ممارسة السحر والشعوذة في المجتمع الجزائري، مجلة آفاق لعلم الاجتماع، العدد4، ص 49.

- سمير شعبان: الإعلام ودوره في نشر الجريمة والوقاية منها ، مجلة ورقلة ، العدد 2 ، 2009 .

- الشريف حبيلة: الخطاب الاعلامي وطرق توصيله للمتلقي وأثره في تغيير ملامح المجتمع ، بحث مقدم في مؤتمر الفضاءات العربية والهوية الثقافية، كلية الإعلام، جامعة الشارقة، ص11.

- محمد خليل الرفاعي: دور الإعلام في العصر الرقمي في تشكيل القيم الأسرة العربية -دراسة تحليلية-، مجلة جامعة دمشق-المجلد27العدد الأول+الثاني2011 ، ص 719.

<https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2010/03/24/193121.htm>

<http://www.alnoor.se/article.asp?id=132204>